

رحلة الحجاز

٦

صفة الوقوف بعرفات

بلقنا عرفات في وقت السحر فألفينا الخيام قد ضربت لنا وفرشت فنزلنا فيها ولما طلع النهار وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد الصخرات حيث كان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأينا أكثر الحجاج في هذا الجانب من بسيط عرفات وسائر الجوانب والأجواز خالية وفي بعضها قليل من الحجاج ، ولبعض حجاج الاقطار مواضع خاصة يقفون فيها كل عام كما يرى القارئ في صورة الموقف من الفصل السابق . ويقف كثير من عرب الجزيرة في جبل الرحمة وبصممه كثير من حجاج الاقطار الاخرى كما علم مما تقدم . وكانت خيام الشريف في موضعها المعتاد من وسط ذلك البسيط وكان السبب في بعدها عن مسجد الصخرات وموقف الامام أن يسهل على أي فريق من الحجاج الوصول اليه للزيارة أو الشكوى في زمن قصير

واني بعد كتابة ما تقدم من وصف عرفات اطلعت على كتاب دليل الحج لمحمد باشا صادق المصري المهندس أحد ضباط أركان الحرب الذي طبع سنة ١٣١٣ فاذا فيه أن مساحة سطح البقعة المستوية من عرفات « كيلو متر مربع » أي نحو ألفي ذراع بذراع الآدمي - وهو من رؤس الاصابع الى المرفق - والذي يتراءى للنظر انه أوسع من ذلك وهذا المكان لا يسهل مثاث الالوف من الحجاج ولكن كثيرا منهم يقفون في جبل الرحمة وفي غيره مما الى ذلك البسيط من الجبال، وجبل الرحمة يرى في المساء مكتظا بالحجاج من سفحه الى قمته . وارتفاعه نحو من ستين ذراعا (٣٠ متر) وطوله قريب من ستمائة ذراع (٣٠٠ متر) كما قال محمد صادق باشا . قال : وأعلى هذا الجبل سطح مستو مباط بالحجر مربع في نحو عشرين مترا وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في (عرض) سبعة وارتفاعها متر ونصف ، وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض مترين يرى من أسفل الجبل

كمنار للطريق اه وأقول ان هذا منار لا كالمنازل ولا يشترط في معنى المنار لغة أن يوضع في أعلاه أو أثنائه نور وإنما هو العلم الذي يهتدى به ، وهذا المنار يراه حجاج الآفاق من الجهات المختلفة

قد فاتنا لقلة الحجاج رؤية منظر من أعظم المناظر المؤثرة في النفس، الحركة لشعور الخشوع والعبودية في القلب، وهو رؤية تلك البقعة الشريفة خاصة بالشعوب الوافدة من جميع أقطار الأرض، ملين دأعين، باكين خاشعين، يجأرون الى الله عز وجل على اختلاف لهجاتهم، الناشئة عن اختلاف لغاتهم، يرددون الأذكار المأثورة بالعربية، ويدعون الله ماشوا بلغاتهم المختلفة.

قال صديقنا محمد ايبك في رحلته بعد وصف عرفات والكلام على الوقوف :
عند وصول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب المحامين (أي المصري والشامي)
بخطاهم قربا من جبل الرحمة، يليهما مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم، وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجاج الاعراب محتشدين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالبيد المنصوص . أما بقي الحجاج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدهم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف وقاعد وجهلهم وجاهلهم مربوطة بجوارهم، وترى الكل في صعيد واحد حتى يتمد على الانسان السير الى أي جهة أراد ولو لضرورة في نفسه ، ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أودية أفقية [أي أمكنة متحاذاة كالصفوف]
يقسمها شارع رأسي ويخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجاج وجاهلهم من ورائهم . وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الجمالة في ربط جاهلهم ، ويمين لهذا النظام من بحفظه مع الدقة ،
— لكان له شكر الله وللملائكة والناس أجمعين . وفي سعة الوادي ما يضمن لدولته إقامة الكل على الراحة التامة ، لأن هذا التزاحم إنما سببه التقرب من بحرى الماء ومن السوق الذي تراه بجوار مسجد الصخرات (ويباع فيه بعض الاغذية الضرورية)
وربما كان لتزاحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من ذلك الرحاب عون على النهب والسلب ، وبسبب هذا التزاحم يضل الناس عن أمكتهم

إذا تركوها لا مرماً ، ولذلك تراهم ينادون بعضهم [أي أنفسهم] إما بأسمائهم أو بألقاب اصطلاح عليها أهل كل جهة حتى إذا سمعها واحد منهم أجابه بصوت عالٍ وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة الإقامة بعرفة . اهـ وأقول ، اننا لم نشاهد شيئاً من ذلك لثقله الحجاج ، وهذا يؤيد ما قلنا من قبل ان التعارف بين الشعوب في عرفة لا يتيسر

وذكر ابن جبير الاندلسي في رحلته ان الجمع الذي كان في عرفات في سنة حجة - وهي سنة ٥٧٩ - لا يشبهه الا الحشر ، وان المحققين من الاشياخ المجاورين زعموا « أنهم لم يعانوا قط في عرفات جمعا أحفل منه ، وانه ما روي من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله . ثم قال : « فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، والى الله عز وجل في الرحمة متضرعين ، والتكبير قد علا ، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع ، فما رأينا يوماً أكثر مداً ، ولا قلوباً خاشعاً ، ولا أعناقاً لهيبة الله خوانع خواضع ، من ذلك اليوم . فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تفتح وجوههم الى أن سقط قرصها ويمكن وقت المغرب وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ووقفوا بمقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذ السمر واليمنيون مواقفهم بمنازلتهم المعلومة لهم في جبال عرفات التوارثة عن جدّ جدّ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدى قبيلة على منزل أخرى ، وكان المجتمع منهم في هذا العام عدداً لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين ، ومن النساء العقائل المروفات بالخواتين (واحدتهن خاتون) ومن السيدات بنات الامراء كثير ومن سائر المعجم عدد لا يحصى ، فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم في نفر الامام المالكي لان مذهب مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا ينفر حتى يتمكن سقوط القرص ويحين وقت المغرب ، ومن السمر واليمنيين من نفر قبل ذلك . فلما أن حان الوقت أشار الامام المالكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفماً ارتجبت له الارض ورجفت الجبال ، فياله موقفاً أهول مرآه ، وأرحى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه ، ونعمده بنعماه ، انه منكم كريم حنان منان » اهـ المراد منه

وقوفنا بعرفة وتأويل رؤيا صادقة

زرت في أثناء النهار الامير الشريف مع بعض الاخوان فحشت سرادقها راكبا فرسا
 لبعده عن موقفنا . ورأيت سوق عرفة وهي بقرب مجرى عين زبيدة كما يعلم من الصورة
 التي نشرناها . ولما رأيت مجرى عين زبيدة هناك ووجدتها تنحدر بقوة في مجاريها
 الواسعة المبنية تذكرت رؤيا كنت رأيتها بمصر قبل ثورة الحجاز وكتبتها وذكرتها
 لكثير من الناس : رأيت في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ اني في مكة المكرمة ومعي رفيق
 لي فدخلنا المسجد الحرام ثم أردنا أن نخرج لحاجة لنا فسمعنا أذان العصر فقلت
 لرفيقي لا ينبغي لنا أن نخرج وقد أدركتنا الصلاة الا بعد أدائها في المسجد ، وينا
 أنا جالس في المصلى بالقرب من الكعبة المعظمة رأيت الشريف حينما أمر مكة جالسا
 أمامي من جهة يميني قريياني واعتقدت انه جاء ليصلي بالناس اماما ، فالتفت الي من
 جهة يساره وقال لي أبطلت علينا اننا منذ زمن نتنظر قدومك الينا . وبعد أن خرجنا
 - ولم أره صلى ولا اتنا صلينا معه - رأيت معي بعض رجاله واننا ذاهبون بأمره الى
 أحد دوره - أي غير دار الامارة - لا تكون فيها ضيفا عليه ، وينا نحن نسير غربا
 جنوبيا رأيت في شارع واسع ممتد من الجنوب الى الشمال ماء فزبرا صافيا مندفعا
 بقوة في مجرى واسع مبني بالحجارة وله فرع الى الغرب وفرع الى الشرق ، فوقفت
 متعجبا من قوة جريان ذلك الماء وقلت في نفسي : اهذا ماء عين زبيدة ؟ ما سمعنا
 أحدا من الحجاج ذكره بهذا الوصف ، وهذه القوة في الجريان لا تكون الا بقوة
 دافعة كالكهربائية أو البخارية . ورأيت في الطريق دارا جديدة ممتازة بين دور مكة
 بيضاها من الخارج علمت انها خاصة بنساء الشريف . وخطر في بالي ان دار الضيافة
 التي خصصت لي سأكون فيها مع الشريف عبد الله أحد أمجال الامير

هذا ما رأته في نومي قبل ثورة الحجاز بمدة أشهر ولما حدثت الثورة وأعلن
 الاستقلال خطر في بالي أنه ربما كان تأويل رؤياي إصلاح جديد نجما به مكة ويمتد
 الى سائر الجهات كما تداد ذلك الماء الذي رأته فان الله تعالى يقول (وجعلنا من
 الماء كل شيء حي) ولما جئت مكة حاجا ظهر لي من تأويل الرؤيا أنه كان معي
 رفيق ، وأنني كنت ضيفا للامير ، وانه رحب بي أحسن ترحيب وكان ينتظر مجيبي ؛

وان دار الضيافة كانت في الجهة الغربية من الحرم الشريف ، وان الشريف عبدالله زارني في هذه الدار ، وانني رأيت دارا بيضاء قبل لي انها دار حرم الامير الناصر ، وان الناس تحدثوا بأنه سيباح بالخلافة - والامامة الخاصة ، قد تؤول بالامامة العامة ، وكل منهما كان متوقعا ولم يقع . وأما صدق الرؤيا في مسألة الماء فلم أشاهده في البقعة على نحو ما رأيته في النوم الا في عرفات ، فاجرى النبي وطوله وتمداده يشبه الذي رأيت لان سرعة اندفاع الماء وقوته كانتا دون ما رأيت في النوم ، والفرق يسير . فهذه الرؤيا من أوضح الرؤى وأجلها تأويلا ، وهي حجة على الذين ينكرون الرؤى الصادقة

الحالة الروحية في الوقوف والنفر

ان الحالة الروحية لا تبلغ الكمال في عرفات ظاهرا وباطنا الا في أصيل ذلك اليوم العظيم ، ففي أول النهار يعرض لأذن الناس شوغل تشغل حواسهم وجوارحهم وأعمالهم . منها ضد وديات لأكل والشرب ، ومنها أوبة المضر الجديدة من تلك البقعة نجاسة لشعب كثيرة مما يحيط بها من الجبل ، فهذه المناظر تشغل كثيرا من الناس بصورتها وتساك . في أول انعيد برؤيتها ، عن مناها وحكمة كون السير اليها ولوقوف فيها عبادة لله تعالى ، وفي أثناء النهار يأكل الناس طعامهم ويستريح أكثرهم في خيامهم ومضاربهم أو في ظلال الجبال ولا سيما إذا كان الحر شديدا ، فإذا جاء وقت الصلاة جمعوا معهم يشدو رحالهم وفرغوا قلوبهم لذكر والدعاء واذبحوا عند موقف تطيب من جبل الرحمة . حرصا على سماع خطبة ، أو لاشترك في اللوف من اخوانهم في التكبير والتلبية ، وقد يراى الماسك ن السرع لم يحمل امرئة ذكرا ولا دعاء خلاصا بل ترك ذلك الافراد ، ولم يرد ان النبي (ص) كان يلبي بعرفة في الخطبة ولا في غير الخطبة ولكن صح انه كان يلبي بين المشاعر ذهابا وايابا وهي منى ومزدلفة وعرفة . ودعا الى زفته بعرفة رافعا يديه بل يرد في الصحاح نص ذكره ولا دعاء واستسبح الله ، ذكر ما ورد في الضم ف يقول « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخبر ومدى كل شيء قدير » روي عن عدة من الصحابة مرفوعا وانه خير ما يقال

قضينا جل نهار عرفة بذكر الله والدعاء وتيسر لي والحمد لله الافتسال فيه .
 وصلينا الظهر والعصر جميعا في مسجد الصخرات ، ورأينا هناك خطيب عرفة وهو
 نائب الشرع بمكة وقد صعد بناقته فاستوى على تلك الصخرة من جبل الرحمة ذات
 التاريخ الاسلامي العظيم وقد أحاط به الناس وازدحموا من حوله يسمعون منه أحكام
 المناسك، ومن دونه ومن فوقه في الجبل ألوف من الناس يشاهد بعضهم بعضا ويراهم من
 في السفح ومن في بسطة عرفات كلها لأن الجبل مدرج يشبه ما يتخذ في بعض المدارس
 الكبرى من المقاعد ذات الدرج المقوسة التي تسمى الفرنجة (نقيتاترو) وكما لبي
 وكبر الخطيب لبي من حوله وكبروا وأشاروا بأطراف أروابهم البيضاء أو مناديلهم
 ويتبعهم في التلبية والاشارة كل من هنالك من قمة جبل الى سفحه، فيأي سائر الناس
 ويكبرون، فيتموج بأصواتهم الهواء ، وترتج الجواء ، حتى تصل الى عنان السماء، بل
 تخرقها حاملة ذلك الذكرواثناء، والضرعة والدعاء، الى من استوى الى عرشه المهيبة
 وهو أقرب الى عبده من جبل الوريد . فياله من موقف ما أعظمه، وما أصدق من شبهه
 بيوم القيامة ، وقد يكون التشبيه على أكمله في ذلك المساء ، فانه وقت يكون فيه لكل
 مؤمن من الشئل بنفسه والتوجه الى ربه، ما لا يمهذ مثله في وقت من أوقات حياته،
 يشعر . والناس يحيطون به من كل جانب — بأنه في خلوة لا يشغله فيها عن ربه شاغل ،
 ولا يشوب خشوعه له وبكائه من خشيته وسروره بمناجاته ربه ولا سمعة، بل لا يكاد
 يخطر بباله أن أحداً هنالك يرى أدا . فما أعجب شأن هذا لاجتماع العظيم الذي
 يجمع كل من شهده بإيمان وعرفان ، بين مزايا عبادة الخلوّة وعبادة شعائر الاجتماع ،
 بل أقول ان له مزية على سائر الشعائر لا يعرفها لا من ذاقها

وقبل الغروب أقبل الشريف أمير مكة بموكبه الحافل حتى صعد أدنى جبل
 الرحمة فكان قريبا من موقف الخطيب وتلاه ركب المحمل المصري . وحينئذ أطلقت
 المدافع ، وعزفت المعازف، (الموسيقى) واستعد الناس للدفع من عرفة، لاجل ميتة
 تلك الليلة بمزدلفة ، وبدأ الدفع بعد الغروب . فركبت السيدتان هودجهما ، وسار
 الرفيقان الكريان والخدم مهمما، وتفضل السيد لزواوي بارسال نجله السيد عبد الرحمن
 مهمم وتهدئته أن يذهب بهم الى منى ليلا بعد أداء أدنى ما يجب من المقام بمزدلفة

ويمر عنه بالميت ، ورائفتي هو فدفعنا مما على دابتين فقطعنا ذلك الطريق ، في ذلك لوقت المتدل اللطيف . ونحن نيجار الى الله تعالى بالتلبية والتكبير ، ولقد وصفنا تأثير التلبية في الطريق بين جدة ومكة ، وابن تأثير طريق مكة من تأثير عرفة ؟ وما أبعد الفرق بين حال المبتدى بهذه العبادة - عبادة المناسك - الذي لم يذق منها الا طعم الاحرام والتلبية ، وبين من شاهدت الله عز وجل وطاف به كثيرا وسعى بين الصفا والمروة متذكرا تلك الآيات البيئات ، ثم أقام ركن الحج الاكبر وهو الوقوف بعرفة فامتلا قلبه إيمانا وعرفانا ، وانثنى بين الالوف من الموحدين يكبر الله على هدايته تكبيرا ، ويكرر التلبية له تكريرا ؟

﴿ الميبت بمزدلفة وقصر الصلاة وجمعا ﴾

الامام بمزدلفة ليلة النحر وذكر الله عند المشعر الحرام (أي فيها) واجب وجمعه بعض علماء الاثر ركنا ، وقد ثبت في السنة التعجل بالضمفة كالساء والصبيان بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد غياب القمر . وأدنى الواجب الوقوف فيه ليلالذكر الله تعالى وأما الميبت الى الصباح فهو سنة كما بينا في المناسك نزلت مع السيد الزواوي بفناء مسجد المزدلفة فصليت هنالك المغرب والعشاء قصرنا وجمعا . والسيد لا يقصر في عرفة ومزدلفة ولا يجمع لانه مكى شافعي ، والشافعية لا يجيزون القصر والجمع الا في السفر الطويل ، والحنفية يوجبون الجمع في المزدلفة لاجل النسك ، والتحقق عند أهل الحديث ان القصر عزيمة والجمع رخصة في كل سفر طويل أو قصر ، وان الجمع في المشاعر أفضل للاتباع ، وناهيك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في أعمال حجة الوداع ، التي علم فيها الالوف المناسك وغير المناسك ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

قال الحافظ ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ان الامام يجمع بين الظهر والمصر بعرفة وكذلك من صلى مع الامام ، وذكر أصحاب الشافعي انه لا يجوز الجمع الا لمن بينه وبين وطنه ستة عشر فرسخا إلخا له بالقصر (قل) وليس بصحيح فان النبي (ص) جمع فجمع معه من حضره من المبكين وغيرهم ، ولم يأمرهم بترك الجمع

كما أمرهم بترك القصر فقال « أمموا فانا سفر » (١) ولو حرم الجمع لبينه لهم اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . قال ولم يبلغنا عن أحد من المتقدمين خلاف في الجمع بعرفة والمزدلفة بل وافق عليه من لا يرى الجمع في غيره اه
وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في مناسك الحج بعد ان ذكر صلاة النبي (ص) الظهر والعصر جمع تقديم ببطان عرنة في حدود عرفة وخطبته هناك مانصه : وبصلي بعرفة والمزدلفة ومنى قصرا ، ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) ولم يأمر النبي (ص) ولا خلفاؤه أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى « أمموا صلاتكم فانا قوم سفر » ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ . ولكن المتقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة . وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم ، ولما رجع من عرفة رجعوا معه ولما صلى بمنى أيام منى صلوا معه ولم يقل لهم أمموا صلاتكم فانا قوم سفر (١) ولم يحدد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لا بمسافة ولا بزمان ، ولم يكن بمنى أحدا سوا كنانة في زمنه ولهذا قال « منى مناخ من سبق » ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافر من يحمل الزاد والمزاد اه
وذكر المحقق ابن القيم في الهدي النبوي مثل ما تقدم عن المناسك مختصرا وزاد انه ليس على المسافر جمعة لان النبي (ص) لم يصلها يوم عرفة ولا في سفر آخر . وأقول ان عدم أمر النبي (ص) لاهل مكة بالاتمام في منى وما بعدها ينطبق على حديث أنس « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصرحوا ان الشاك في الاميال والفراسخ شعبة لأنس . وقال الحافظ في الفتح ان هذا أصح حديث وأصرحه في المسألة
مكث السيد الزواوي معي قليلا في المزدلفة ثم ذهب الى منى وأوصى الخادم

(١) السفر بفتح السين وسكون الهمزة جماعة الساهرين كالشرب جماعة الشاربين

بأحضار دابتي في الصباح فتمت ساعات واستيقظت في وقت السحر. وقد سخر الله تعالى لي زفاقا من خير الناس بتبجوارهم وقد عرف الزواوي منهم رجلا مكيًا اسمه الشيخ علي مؤمنة، فلما استيقظت وجدتهم أيقاظًا فطلبت منهم ماء فتوضأت وصليت الوتر إحدى عشرة ركعة فلما آمنت صلاتي وجدتهم قد أحضروا الشاي وخصني كبرهم بإبريق نظيف من نوع جيد منه وقدم لي معه سحنا فيه لوز مقشور وحنافيه هشة من الكهك المعروف بالقراقيش فأصبت من ذلك كله شاكرًا لهم. وطفق كبرهم بسألني أسئلة في السنة والاتباع والابتداع واختلاف العلماء والبصوفية ويتلقى أجوبتي عنها بالقبول مسرورا بما جليتها به من الشرح والتفصيل. وهذا الرجل بخاري الأصل يعرف العربية وكنيت توهمت انه داغستاني وقد ساح في كثير من البلاد، وقد فهمت انه جاور في مكة المكرمة وأنه يخرج كل سنة منها الى عرفة ببعض أصحابه في الموسم مشاة ويعودون مشاة. وقد اختلف العلماء في أي الأمرين أفضل في المناسك المشي أم الركوب فقيل المشي لانه أقرب الى التواضع وأعون على الدعاء، وقيل بل الركوب نأسيًا بالنبي (ص) فإنه لم يفعل الا الأفضل والا كل، ويمكن أن يقال ان الأفضل لاهل الآفاق وللضعفاء من أهل مكة الركوب وأن الأقوياء من المقيمين بمكة قد يكون المشي أفضل لهم من عدة وجوه منها مشاركة أهل الآفاق يعمض مشقة السفر وان ذلك لا ينافي الاتباع

وقد سألت السيد الزواوي عن هذا الشيخ وعن رفيقه الخاص الشيخ علي مؤمنة وكلفته بعد عودتي أن يسأل عنهما فكتب الي إن الثاني نشأ من صغره محبا للعزلة والبعد عن كبراء الدنيا وهو على الدوام يخدم العلماء وأهل الطريق من الغرباء ومنهم الشيخ حسام الدين البخاري صاحبكم في المزدلفة: ويقول تلميذه الشيخ علي مؤمنة انه أقام في مصر مدة طويلة وخرج منها في العام الماضي وأمورا عليه (كذا) بالوصول الى مكة والاقامة بها هذا العام وهو الآن موجود في أحد اربطة البخارية بحارة جباد لا يخالط أحدا، لا يعرف ولا يعرف، مواظبا على الجمعة والجماعة كتلميذه الشيخ علي ولما طلع الفجر صلينا مع الجماعة ثم ذهبنا حول المسجد نجمع الحصى لرمي الجمار فلما جمعناها ركبت دابتي وسارت وسار أصحابي مشاة قاصدين مني

﴿ الأفاضة الى منى ورمي جمرة العقبة ﴾

أفضنا من مزدلفة مليونين مكبرين قبل طلوع الشمس عملا بالسنة، ومخالفة لما كان عليه عمل الجاهلية من تأخير الأفاضة منها الى طلوعها . ومن السنة المبينة على سبب تاريخي هنالك الاسراع المعتدل في السير في بطن محسر لا فرق في ذلك من الماشي والراكب . وتقدم ان بطن محسر بشديد البياض المكسورة هو الوادي الفاصل بين منى ومزدلفة . قال بعض العلماء ان حكمة الايضاع فيه ان أهل الجاهلية كانوا يقفون فيه ويزكرون مفاخر آبائهم ، ففي الاسراع فيه إظهار البراءة من ذلك . وقال بعضهم ان هذا المكان هو الذي أهلك الله تعالى فيه أصحاب الفيل الذين جاؤا من طريق اليمن لهدم بيته المحرم فاستحب الاسراع في الخروج منه لانه كان موضع سخط الله تعالى وعذابه لا واثك الظالمين المعتدين ، ويستحب مثل ذلك في كل مكان مثله كديار نمود

ولما وصلنا الى منى قصدنا الجمرة الكبرى جمرة العقبة وكانت الشمس قد ارتفعت فرميناها بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة . وفي مثل هذا الوقت رماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم رابكا ، وقد صح انه (ص) جعل البيت عن يمينه ومنى عن يساره ورمى . وانه كان يكبر مع كل حصاة ، وانه قال : « اللهم اجعله حججا مبرورا وذنبيا مغفورا » وبعد الرمي جثت الدار الممدة لنزلنا فيها فاذا هي من أعظم دور منى حسنا وسعة وهي اصدقنا الشيخ محمد نصيف ، فرأيت السيدتين في قسم النساء منها ، والرفيقين في قسم الرجال ، والجميع كما أحب ، وأعطيت لوكيل الخرج دراهم ووكلته بشراء النسك والذبح عني . وقد قصصت قليلا من شعر رأسي بيدي ، ولم يتيسر لي الاتيان بمحلاق الى لدار لاني أريد الأفاضة الى مكة لاجل طواف الركن . وفي حديث أنس عند مسلم انه (ص) أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قل للمحلاق « خذ » وأشار الى جانبه الايمن ثم الابسر ثم جعل يعطيه الناس ومتى شرع الحاج في رمي جمرة العقبة مكبرا تقطع التلبية التي هي شعار الحج . ويستبدل بها التكبير الذي هو ذكر الله في المبد ، ومتى رماها وحلق شعر رأسه أو قصره حل له كل ما كان محرما في النسك الا ملامسة النساء فانها لا تحل الا بالتحلل الاخير بطواف الأفاضة .